حزب الله.. القوة المتصاعدة وخطرها على الكيان الصهيوني

تنشر صحيفة الوفاق مقالات للكاتب اللبناني الأستاذ في التاريخ السياسي المعاصر الدكتور حسن محمد إبراهيم حول القوة المتصاعدة لحزب الله وخطرها على وجود الكيان الصهيوني:

الوفاق

الحلقة السابعة – حصار حزب الله بالاقتصاد والمظاهرات

ظهور القوة الاقتصادية والسياسية

هدأ الوضع العسكري في لبنان على مدى سنتين، وبات الصراع السياسي يتمحور في مواجهة حزب الله في لبنان، وامتدادًا على مساحة الكرة الأرضية. وما تآلف محور الشرّ المعادي إلّا لِمَا بات يشكّله حزب الله من امتداد شعبي وسياسي وعسكري، قد يقوّض المصالح الأميركية في المنطقة، أو يضرّ بها.

بعد الانتصار العسكري الكبير في شرق لبنان وسوريا والعراق، ذهبت جهود الأميركيّين والصهاينة هباء منثورًا، بل جاءت بنتائج معاكسة للأهداف المرجوّة، فقد استطاع حزب الله تثبيت حضوره داخليًّا وخارجيًّا، وإعداد عدة كاملة على امتداد الساحتين العربية والإسلامية، ومواجهة المؤامرة الأميركية الجديدة.

نقلت الإدارة الأميركية المواجهة إلى الجانب الاقتصادي، فأوحت إلى عملائها في مختلف القطاعات لإعداد العدة والانقلاب المدني والاجتماعي والاقتصادي على حزب الله، بعدما فشلت في المواجهات العسكرية. فتولّى أعداء الداخل تجهيز أنفسهم، وانطلق انقلابهم من زيادة ضريبة محدودة على شبكة الاتصال، لتكون مؤشر البداية وتنطلق الغوغائية الإعلامية والانتكاسة الاقتصادية والتفلّت الاجتماعي على امتداد الأراضي اللبنانية.

بدأت المنظمات الأهلية والاجتماعية، والجمعيّات غير الحكومية، العاملين تحت الإمرة الأميركية، عملًا تخريبيًّا منظّمًا تديره السفارة في لبنان. ودخلت ألاعيبها في الأيام الأولى إلى الضاحية الجنوبية وبعض المناطق الجنوبية والبقاعية، إلّا أن خروج السيد حسن نصر الله، في ذكرى أربعينية الإمام الحسين(ع)، لتوضيح المسار الأمني المتفلّت والأهداف المخفية وراء هذه الغوغائية جعل من الضاحية الجنوبية وأغلب مناطق الجنوب والبقاع، حيث تتمركز بيئة حزب الله، مناطق آمنة وبعيدة عن التوتّرات والمواجهات، فيما شهدت أغلب المناطق اللبنانية الأخرى، لا سيّما العاصمة بيروت، أوج الأعمال التخريبية، واعتداءات عناصر تلك الجمعيات والأحزاب على بيئة المقاومة. إضافة إلى قطع طريق عام بيروت-صيدا، وطريق عام بيروت-البقاع، من أجل قطع طرق الإمداد والتواصل بين المناطق الشيعية المختلفة، في محاولة لتضييق الخناق على حزب الله.

جرت مفاوضات عسيرة لسحب المشاغبين المتفلّتين بأوامر سياسية، تحت شعارات اقتصادية، حتى جاء الرد بشرط سحب سلاح حزب الله وتسليم الصواريخ الدقيقة، وترسيم الحدود البحرية مع فلسطين المحتلّة بما يتناسب مع مصلحة العدوّ الصهيوني.

لقد كثرت الشعارات والافتراءات والأكاذيب والتعدّيات على الآمنين، وفي كل تلك الأحداث عاش عناصر حزب الله ومناصروه وبيئته حالة انضباط يصعب على أي بيئة لأحزاب أخرى التكيّف معها والانسجام مع المبادئ التي ترفعها.

حاولت بعض الجمعيّات الدخول بعناوين اجتماعية، نزولًا عند الرغبة الأميركية بإفساد المجتمع، منها شعار «جسدي حريتي» وشعار «فليسقط حكم الأبوة»، إلى ما هنالك من شعارات بعيدة عن الشعار الرئيس للحركات الميدانية بوقف سلسلة الضرائب المفروضة.

مرّ ما يقارب السنة على تجييش الناس، واللعب بلقمة عيشهم، إلى أن انتشر فيروس «كورونا» الأميركي الصنع، الذي قضى على التجمّعات البشرية، وزالت شيئًا فشيئًا، واندثرت كلّ تلك الشعارات بعد عدم مقدرتها من النيل من حزب الله وبيئته ومناصريه.

لجأت الإدارة الأميركية إلى فرض عقوبات أخرى، وسياسات مالية جديدة، ساهمت بانهيار الليرة اللبنانية مقابل الدولار الأميركي، من أجل ضرب المتموّلين الشيعة. كذلك منعت دخول مادّتَي البنزين والمازوت، وانقطع التيّار الكهربائي عن كافة المناطق اللبنانية، ودخل لبنان بقطيعة اقتصادية عربية وأجنبية، نزولًا عند القرار الأميركي، فكان قانون «قيصر» المفروض على سوريا، يشمل لبنان أيضًا. واللافت في الموضوع، أن العديد من القوى السياسية والحزبية والمسؤولين الرسميّين في الدولة نظّروا لهذه العقوبات على لبنان، وساندوا القرارات الأميركية، وساهموا إلى حدّ بعيد بانهيار العملة اللبنانية، في الوقت الذي يرفعون فيه شعارات السيادة والحرية والديمقراطية.

استطاع حزب الله نقل مادّتي البنزين بكمية قليلة، والمازوت بكميّات أعلى، من الجمهورية الإسلامية الإيرانية، عبر البحر، وصولًا إلى الموانئ السورية، بعد قرار الدولة اللبنانية بعدم السماح لتلك السفن من الرسوّ في موانئها، خضوعًا للأوامر الأميركية ومشاركة في الحصار على الشعب اللبناني.

شكّل إحضار النفط الإيراني إلى لبنان ضربة عنيفة لمشروع الحصار الأميركي، وقد ترافق مع تهديد علني واضح من السيد حسن نصر الله بأن قصف أية سفينة نفطية متوجهة إلى لبنان وترفع العلم اللبناني هو اعتداء مباشر على الأراضي اللبنانية وسيكون له تبعات عسكرية لا يمكن للولايات المتحدة الأميركية والكيان الصهيوني تحمّل نتائجه.

ما زالت الحرب الاقتصادية والحصار الأميركي الغربي قائمًا على لبنان، وبالتواطؤ مع بعض الأحزاب والفئات والدوائر في لبنان، لذلك لا يمكن الحديث عن رفع هذا الحصار بنتائج حاسمة، إلا أن القدر المتيقّن أن حزب الله أجاد وأحسن التعامل مع الهجمة الأميركية الجديدة على لبنان، لأن المتضرّر الأكبر هو الشعب اللبناني بمختلف طوائفه ومناطقه، بينما استطاع الحزب تفادي الأزمات الخاصّة به على كل صعيد، ومن هنا يمكن القول إن حزب الله تكيّف مع واقع الحصار الاقتصادي المستجدّ الذي لم ينتهِ بعد حتى لحظة إعداد هذا المقال، وأوجد مخارج جديدة، وهذا ما يدفعنا إلى القول إنه بات منتصرًا على الصعيد الذاتي التنظيمي، نظرًا لإفشال أهداف الحصار عليه، إلّا أنه يعمل على تجنيب الشعب اللبناني المعاناة الاقتصادية الصعبة.

استطاع حزب الله تثبيت حضوره داخليًّا وخارجيًّا، وإعداد عدة كاملة على امتداد الساحتين العربية والإسلامية، ومواجهة المؤامرة الأميركية الجديدة

ونستنتج من ذلك، ديناميكية مرنة يتمتّع بها حزب الله، تعطيه قوّة اقتصادية مضافة إلى القوة العسكرية، فلو انسحب الحزب من الواقع الاقتصادي، بمؤسساته وأمواله، لعشنا فعلًا بواقع تدمير تامّ، واستسلام كامل للإرادة الأميركية لتفرض شروطها التعجيزية، ليس أقلّها نهب الثروات الموجودة في البحر قبالة الشواطئ اللبنانية.

هنا؛ يمكن الحديث عن قدرة حزب الله واستيعابه للمراحل اللاحقة، وتشكيل قوّة دفع للبنان، على ان تكون سمة المرحلة ضمن مصطلح «تكامل الوجود الاقتصادي والسياسي والعسكري»، من خلال:

- التفهّم الميداني السياسي والاقتصادي، الخارجي والداخلي.
- احباط المؤامرة الأميركية بحصار بيئة حزب الله وضرب مقوّماتها الاقتصادية.
- تحدّي الضغوط السياسية والاقتصادية في الداخل والخارج.
- تهديد عسكري بحري خارج المياه الإقليمية اللبنانية، بل في المياه الدولية.
- تأمين البدائل من خارج الحدود، وتعزيز الوضع الاقتصادي بحال تعاونت الدولة اللبنانية مع مبادرات حزب الله.
- إمكانيّة فتح معبر اقتصادي يصل من إيران عبر العراق إلى سوريا فلبنان.
- فتح نقاش جدّي بالعلاقة الاقتصادية مع الصين وروسيا وغيرهما.
- انضباطية شعبية غير مسبوقة، امتثالًا لتوجيهات الأمين العام السيد حسن نصر الله، على الرغم من التعدّيات والاستفزازات الشديدة.
- انضباطية عسكرية رصينة لعناصر حزب الله رغم الآلام والمضارّ التي عانتها بيئته.
- تجنيب مناطق نفوذ حزب الله من العبث الأمني والاقتصادي والاجتماعي.

يُتبع...

بيروت.. أحدب نوتردام (الجزء الرابع عشر)

الوفاق
د. محمد علي صنوبري

تنشر «الوفاق» على عدة حلقات مشاهداتها الخاصة من بيروت كتبها لها الدكتور محمد علي صنوبري رئيس تحرير مركز الرؤية الجديدة للدراسات الاستراتيجية، وفيما يلي الجزء الرابع عشر من هذه السلسلة:

كان لدي موعد مع أستاذ في الحقوق ومحامٍ مشهور وذي خبرة من لبنان في الساعة الواحدة بعد الظهر. كان موعدنا في مطعم بشارع فردان في وسط بيروت. وكما جرت العادة، وصلت إلى المطعم قبل الموعد بعشر دقائق.

جاء الأستاذ أيضاً في الساعة الواحدة. أردت أن أطلب الغداء، لكن الأستاذ قال: لا، لن أتناول شيئاً الآن! في البداية تعجبت ولم أفهم لماذا يمتنع عن تناول الطعام في وقت نتناول فيه نحن الإيرانيون عادةً الغداء. لقد طلب فقط فنجان قهوة، واحتراماً للأستاذ، طلبت أيضاً فنجان قهوة. وسألته لماذا لا تأكل شيئاً؟ هل تناولت الغداء؟ فضحك الأستاذ وقال: بالنسبة لنا نحن اللبنانيين، من الغريب أن نتناول الغداء قبل الساعة الواحدة! سألت: ومتى تتناولون الغداء إذن؟ أجاب: نمط تغذيتنا ليس كحالكم أنتم الإيرانيين المبدعين في الطعام والشراب.

نحن نأكل عندما نجوع، وقد تناولت شيئاً في الساعة العاشرة، والآن لن أتناول شيئاً حتى الساعة الخامسة تقريباً! استمر النقاش حول اختلاف نمط التغذية البيولوجي بين الإيرانيين واللبنانيين لبعض الوقت، ولأني لم أرغب في الاستمرار أكثر، سألت بشكل مفاجئ: لماذا لا يدعم جميع اللبنانيين المقاومة؟ أليست المقاومة من أجل الجميع؟ كان الأستاذ يضحك، ولكنه فجأة شعر بالدهشة قليلاً، وسعل، واستند إلى ظهر الكرسي وقال: من قال إن جميع اللبنانيين ليسوا مؤيدين للمقاومة؟ هل لديك إحصاءات علمية؟ هل أجريت استطلاع رأي شامل وكامل؟ هل تم إجراء استفتاء ونحن لا نعلم؟ فقلت: هل يجب أن أجيب؟ قال: نعم. قلت: حسناً، لبنان نظام طائفي سياسي ومجتمع مدني. ويبدو بوضوح أن لكل طائفة زعماؤها الخاصون، وحتى مناطقها الجغرافية وثقافتها الفرعية. من هنا حيث نجلس الآن إلى الجنوب، هناك حوالي ٨ كيلومترات إلى الضاحية. ومن هنا إلى جونية أيضاً حوالي ٨ كيلومترات. وأخيراً، المسافة بين قلب الضاحية وقلب جونية هي ١٦ كيلومتراً، لكننا نشهد

أنه في هذه الـ ١٦ كيلومتراً، لا تتغير فقط مظاهر الحياة الحضرية ونمط الحياة، بل الثقافة والحضارة ووجهات النظر أيضاً.

وبغير الانفجار في مرفأ بيروت وتسبب في تدمير المناطق الشمالية وأحياناً المناطق المسيحية في بيروت، لم نشهد أي من مظاهر الحرب الأخرى في هذه المناطق، حتى صوت القصف الثقيل الذي يسمع هذه الأيام في الضاحية لا يُسمع في منطقة جونية. الناس في تلك المناطق مرفهون جداً ويعيشون حياة أوروبية، وقد لاحظت أنهم يستعدون للاحتفال بأعياد الميلاد الجديدة. في هذه المنطقة، الشواطئ تشبه شواطئ الدول غير الإسلامية، والمشروبات الكحولية والنوادي الليلية تعمل باستمرار، وصوت الموسيقى والغناء يُسمع من قاعات الاحتفال.

بصراحة، لا أعتبر هذا النمط من الحياة وهؤلاء الأشخاص جزءاً من مؤيدي المقاومة. بينما كان الأستاذ يبتسم برضا وتأكيد، قال: استمتعت بوصفك؛ في الواقع، لقد وصفت ما رأيته بشكل جيد. لكن من خلال نظرة سريعة لا يمكنك إجراء دراسة اجتماعية جيدة! فقاطعته بسرعة وقلت: لا بأس أن تعرف أنني خريج دكتوراه في علم الاجتماع السياسي. وكانت ملاحظتي من هذا المنظور لأنني متخصص وأدرس ذلك.

فقال: من الغريب من شخص درس علم الاجتماع السياسي مثلك، أن يرغب في إصدار حكم نهائي بناءً على ملاحظة سريعة وعابرة. دعني أوضح الأمر أكثر. في لبنان، رغم أننا نشهد مجتمعاً ونظاماً سياسياً متعدد الطوائف، أو كما يقال فسيفسائي، إلا أنه ليس كما في بعض الدول حيث تكون الطوائف محددة بخطوط وحدود واضحة.

على سبيل المثال، يمكنني أن أقول إن حزب القوات وزعيمه سمير جعجع قد تكون عداوتهم مع المقاومة مثل عداوة الصهاينة.

لكن هؤلاء ليسوا سوى حزب سياسي وتنظيم مغلق ومافيوي، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن ننسب المجتمع المسيحي إليهم. على سبيل المثال، قلت إن كل طائفة لديها منطقتها الجغرافية الخاصة بها، ولكن هذا القول صحيح وخاطئ في نفس الوقت. صحيح لأنه قد يكون في بعض المناطق الأغلبية مع بعض الأعراق والمذاهب، وخاطئ لأنه لدينا أيضاً لبنانيون سنة ومسيحيون ودروز في الضاحية وصور.

وفي جونية نفسها التي تظن من خلال ملاحظات نمط الحياة أنها مسيحية بالكامل، يعيش هناك العديد من رجال الأعمال الشيعة والسنة أيضاً ولكنهم ظاهرياً لا يختلفون عن الآخرين ويعيشون نمط حياة بورجوازية ويعتبرون كما يقال من الطبقة المخملية في المجتمع.

السبب وراء هذا المقدمة هو أن أقول إن تقسيم لبنان إلى مؤيد للمقاومة أي الشيعة ومعارض لها، أي المذاهب والأديان الأخرى هو خطأ. في لبنان، أصبح هذا التقسيم قديماً، واليوم نظرة المجتمع اللبناني إلى المواضيع تعتمد على التفكير السياسي والوطني والمصالح الشخصية. هذا نموذج يمكن ملاحظته في جميع أنحاء العالم بفضل انفجار المعلومات وتطور الشبكات الاجتماعية، في الواقع، العديد من الناس في لبنان من كل قوم وطائفة يتفقون مع المقاومة ويدعمونها حتى لأنهم يعتبرون أن المقاومة تحمل فوائد لهم، وهو ما لا يتم التركيز عليه كثيراً في وسائل الإعلام.

فمثلاً، تتكرر هذه العبارة كثيراً على لسان طلابي في السنوات الأخيرة: إذا لم تكن المقاومة موجودة، لكان لبنان قد احتله الصهاينة أو تمزق بسبب الحرب الأهلية. الكثير من الأشخاص يدافعون عن المقاومة من هذا المنظور، ومن جهة أخرى، أنت تعلم أن لبنان يفتقر إلى وجود جيش حقيقي.

هنا شعرت أن الأستاذ بحاجة إلى استراحة، لذلك دعوته لشرب قهوته وقلت: لقد استفدت كثيراً من حديثك، وأود أن أضيف أنني سجلت صوتك حتى أتمكن من ترجمته ونشره لاحقاً بسهولة. فقال: كان من المفترض ألا يكون لقاؤنا إعلامياً. قلت: لا تقلق، لن أعرض صورتك ولا صوتك ولا اسمك.

فقال: نحن الآن في لبنان تحت قصف المفاوضات، الضغط الذي نتعرض له من العدو هو بسبب رغبتهم في أن نستسلم في المفاوضات وفقاً لمطالبهم. لكنني متأكد أن الهيكل الفكري لحزب الله بعد استشهاد السيد حسن نصرالله لم يتغير استراتيجياً، ولن يقبل حزب الله الشروط الجديدة، وفي النهاية سيتم وقف إطلاق النار بناءً على شروط حزب الله. بعد أسبوع من هذا اللقاء، تم تنفيذ وقف إطلاق النار بناءً على نفس البنود التي أكدها حزب الله.

يُتبع...